لذة القران: حقيقتها–اسبابها–موانعها

د. علوي بن احمد بن حسين العيدروس

الاستاذ المساعد بجامعة سيئون – كلية الاداب واللغات، قسم الدراسات الاسلامية – تخصص: تفسير

aahaa25@gmail.com

الملخص

يتحدث هذا البحث الموسوم بـ **(لذة القرآن: حقيقتها . أسبابها . موانعها)** عن موضوع مهم وجديد، غفل عنه الكثير اليوم، فلم يهتموا به، وركزوا على القرآن شكليا فحسب.

ويهدف هذا البحث إلى إظهار شرف وعظمة القرآن الكريم، وإدراك علومه واحتواء أسراره ، وذوق حلاوته والتلذذ بتلاوته. وقد اشتمل البحث على ثلاثة مباحث: الأول: حقيقة اللذة والفرق بينها وبين الألفاظ المشابهة لها، والثاني: أسباب لذة القرآن، والثالث: موانع لذة القرآن. أضف إلى ذلك يُعنى البحث بكشف جانب آخر وهو بعض الممارسات الخاطئة تجاه التعامل مع القرآن، وإبراز أهمية هذا الكتاب وكيفية التعامل معه. وذكر بعض التجارب القرآنية لبعض الشخصيات لإثراء الموضوع وإبراز أهميته..

وقد سلك الباحث المنهج الوصفي التحليلي لبعض النصوص القرآنية وتأملهما واستنباط الفوائد والدروس، للوصول لنتائج سليمة، من أهمها إبراز أهمية دراسة القرآن العظيم وتدبره والتلذذ بتلاوته، والكشف عن معنى اللذة وبيان أهميتها تجاه القرآن، والاهتمام بمعرفة أسباب لذة القرآن والسعي في تحصيلها والتحقق بها، والابتعاد عن موانع لذة القرآن وتجنبها، وإدراك أن لذة القرآن هي أمتع لذائذ الدنيا على الإطلاق.

ويوصي الباحث طلبة العلم وطلاب الدراسات العليا بتكثيف الجهود للتعمق أكثر في دراسة هذه المواضيع وإظهار حقيقة القرآن، ومن ثم إبراز عظمة هذا الكتاب وكونه دستورًا للمسلمين ،ومنهاجًا لحياتهم.

المقدِّمة:

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا) {الشورى:٥٢}

،والصلاة والسلام على سيد الأنام القائل: (أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا نعم. قال: فإن هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ،فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا)[١]، وعلى آله وصحبه أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد..

فإذا كان الحبيب يتلذذ بكلام محبوبته ويستأنس له، ويتمنى لو أنها تطيل الكلام ولا تختصر، حيث قال قائلهم:

وحديثُها السحر الحلال لو أنَّه لم يُجنِ قتل المسلم المتحرزِ

إن طال لم يُملل وإن هي أوجزت ودَّ المحدَّث أنها لم توجَز[٢]

فإن أحسن الحديث وأجمله كلام الله تعالى، فما تلذذ المتلذذون وما تنعم المتنعمون، بمثل ما يتنعم به قراء القرآن، فلذة المحبوبين بكلام محبوبهم، فهو غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم، قال الله تعالى:(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ){الزمر: ٢٣}.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها١/٣٣٠، حديث رقم(١٢٢). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم. والمعجم الكبير للطبراني٣/٦٦، حديث رقم(٢٦٨١)، ومصنف عبد الرزاق٦/١٢٥، حديث رقم(٣٠٠٠٦).

(٢) ديوان ابن الرومي ص:٢٣٠٩.

ولا شك أن نعم الله على عباده كثيرة وجليلة،(وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا){إبراهيم: ٣٤}، ولكن أعظم هذه النعم وأجلها قدرًا وأبقاها ذكرًا، وأنفعها ثمارًا وأرقّها نسيمًا، وأدقّها تكريمًا، وأعمها فائدةً، وأزكاها مائدةً، هذا القرآن العظيم :(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) {فصلت: ٤٢}.

ولقد كانت منَّة الله عظيمة أن خص به خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيِّد الأولين والآخرين سيدنا وشفيعنا محمد ﷺ الصادق الأمين، فأنزله عليه بيِّن البراهين، ظاهر الحجج، ﭽ (قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ){الزمر: ٢٨}، وأكرَم به هذه الأمة، فكان شرفَها ومجدَها وجوهر نقائها، ولقد أدركت هذه الأمة –ممثلة بجيلها الأول– ما لهذا القرآن من سيادة وقيادة تتبوأ به من علو منزلة ورفعة ذكر، فتفاعلت مع آياته، وتلذذت بحلاوة أصواته، فكانت خير أمة صفاء قلب، ونقاء لب، وهداية درب، ولم يُذق طعم الوحدة إلا بعد أن آوت إلى كَنَفه، ولم تسربل بسربال العزة إلا بعد أن استظلت بظل شرفه، من أجل ذلك وجهت إليه جميع طاقاتها ومنحته الرعاية والعناية ما لم يُعرف لكتاب غيره.

ومن هنا أحببت أن أدخل من هذا الباب وأن أتشرف بخدمة القرآن الكريم، وكما أكرمني المولى الكريم بتدريس مادة تفسير القرآن، فأسأله تعالى أن يكرمني بالتصنيف في خدمة القرآن الكريم، فأحوز الأجرين وآخذ الكنزين معًا. ولقد صنف العلماء كتبًا كثيرةً عن القرآن العظيم من: تفسير وتوجيه وأحكام وبلاغة وبيان وتدبر وغير ذلك، فأحببت أن أسلك مسلكًا جديدًا وأتكلم عن موضوع خاص بالقرآن، لم يفرده المتقدمون والمتأخرون بكتاب أو بحث مستقل، وهذا هو الغرض الأساسي من التصنيف، قال الإمام ابن الجزري:

"[1]وينبغي لمن أراد التصنيف أن يبدأ بما يعم النفع به وتكثر الحاجة إليه بعد تصحيح النية، والأولى أن يكون شيئًا لم يسبق إلى مثله"[2].فكان عنوان كتابي هذا: (لذة القرآن).

فأسأل المولى الكريم أن يجعل هذا العمل المبارك خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون القران الكريم شفيعًا لي يوم الدين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

أهداف البحث:

١. خدمة القرآن الكريم والدعوة إلى تأمله، وتدبره، والانتفاع به، والتلذذ بتلاوته.

٢. إبراز عظمة القرآن الكريم وإدراك أن لذته هي أعظم لذائذ الدنيا وأمتعها على الإطلاق.

٣. معرفة أهمية لذة القرآن الكريم وبيان حقيقتها وأسبابها وموانعها.

٤. الكشف عن بعض التجارب القرآنية، والتي لها ارتباط كبير بإدراك قيمة هذا الكتاب العظيم وذوق حلاوته.

أسباب اختيار الموضوع:

١. نظرة الناس اليوم للقرآن الكريم نظرة شكلية فحسب، دون الاهتمام بالمضمون وهو الأساس.

٢. موضوعات القرآن الكريم كثيرة وبعضها بحثت وبعضها لم يبحث، وموضوع لذة القرآن من المواضيع التي لم يعط حقه من البحث والدراسة، فكان موضوع بحثي.

---

(1) منجد المقرئين لابن الجزري ص:١٠.
(2) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ص: ١٤.

٣. حاجة الناس الملحة اليوم إلى من يوصل القرآن الكريم إلى قلوبهم، ويبصرهم بعظيم أسراره وروعة إعجازه، وكيفية تذوق حلاوته والتلذذ بتلاوته، ولعل بحثنا هذا يكشف أبعاد هذا الموضوع وييسر الوصول إليه.

مشكلة البحث:

يزعم كثير من الناس اليوم أن القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس، كتاب يوضع على الرفوف ويقبل الناس على قراءته بين الحين والآخر، ويغفلون عن جانب مهم جدًا تميَّز به القرآن، وهو التأثر بالقرآن والانتفاع به والتلذذ بتلاوته واستشعار عظمته، ويمكن أن نحصر مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

هل القرآن الكريم له تأثير على قلب المؤمن وسلوكه؟

هل للقرآن الكريم لذة عند تلاوته؟ وما هي حقيقة هذه اللذة؟

ما هي أسباب الوصول إلى لذة القرآن الكريم؟ وهل ثمَّة موانع تمنع من الوصول إليها؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء للموضوع، لم أقف– حسب اطلاعي– على من أفرد هذا الموضوع برسالة علمية(ماجستير أو دكتوراه)، أو بحث محكم.

في رسائل كتبت عن تدبر القرآن كرسالة بعنوان: (تدبر القرآن الكريم) رسالة ماجستير ،جامعة الإمام محمد بن سعود، لعبد اللطيف بن عبد الله التويجري، والتدبر مرحلة سابقة للتلذذ؛ لأن التلذذ يأتي بعد التدبر، ولا تلذذ دون تدبر.

أما الكتب في هذا الموضوع أيضًا لم أقف على كتاب يتحدث عن ذلك، بينما وجدت كتابًا بعنوان: (العلم ولذته) لفهد بن خالد آل عدب، وهو خاص بالعلم، وأيضا لم يتكلم عن حقيقة اللذة وبيان أهميتها وكان أكثر تركيزه على العلم وعلاقته بالإخلاص وتحسين السلوك ونسيان الدنيا وما إلى ذلك، كقوله مثلا: لذة العلم تدعوك للإخلاص في طلب العلم، لذة العلم تنسيك لذات الدنيا، لذة العلم تدعوك لتحصيل الكتب، وهكذا.

والذي يميِّز دراستي عن هذه االدراسة: أن موضوعي عن لذة القرآن، وأيضا كشفت عن حقيقة هذه اللذة وبيان أهميتها وأسبابها وموانعها، مستدلًا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء، وذكرت بعض التجارب القرآنية المتميزة، بخلاف الدراسة الماضية، فقد خلت من ذلك إلا ما ندر.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال قراءة بعض النصوص القرآنية ودراستها وتحليلها وذكر أقوال العلماء والفوائد المستنبطة منها وذكر بعض التجارب القرآنية التي تعزز هذا الموضوع وتثريه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: حقيقة اللذة والفرق بينها وبين الألفاظ المشابهة لها.

المبحث الثاني: أسباب لذة القرآن.

المبحث الثالث: موانع لذة القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع

المبحث الأول

حقيقة اللذة والفرق بينها وبين الألفاظ المشابهة لها

وهذا المبحث يشتمل على المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف اللذة لغةً واصطلاحًا وبيان حقيقتها:

لغةً: تأتي اللذة لمعانٍ عدة، من أهمها:

١. طيب طعم الشيء: مأخوذ من الفعل (لَذَ)، فاللام والذال أصل في الدلالة على طيب طعم الشيء، قال ابن فارس: "اللَّام وَالذَّال أَصْلٌ صَحِيح واحد يدل على طِيبِ طعمٍ فِي الشَّيءِ. مِن ذلك اللذَّة واللَّذاذَةُ: طيِّب طعمِ الشَّيء"[١].

٢ـ نقيض الألم: قال ابن منظور: "اللذة: نقيض الألم، واحدة اللذان لذّه ولذَّ به يلَذ لذًا ولذاذةً، والتذَّه والتذَّ به واستلَذّه عدَّه لذيذًا، ولذِذْت الشيء بالكسر لذاذًا ولذاذةً، أي: وجدته لذيذًا والتذَذْت به وتلذَّذْت به بمعنى، واللذة واللذاذة واللذيذ واللذْوى كله الأكل والشرب بنعمة وكفاية، ولذذْتُ الشيءَ وأنا ألذّ به لذاذةً ولذَذْتَه سواء"[٢].

أما اصطلاحًا: فقد اضطربت آراء الناس _ حتى الفلاسفة _ في تشخيص معنى اللذة وتعريفها تعريفًا جامعًا مانعا، وكلَّت أقلام الكتاب والشعراء دون ذلك، قال الدكتور محمد الحمد: "والذي نختار من بين كثرتها رأيان:

أولهما: يرى أن اللذة هي إدراك النفس ما يلائمها، وتراه حسنًا.

---

(١) معجم مقاييس اللغة٥/٢٠٤.
(٢) لسان العرب، لابن منظور٣/٥٠٦.

وثانيهما: أنها التخلص من آلام طبيعية، أو عارضة"[1].

قد يعترض البعض بأن المعنى المتبادر للذهن من لفظ (اللذة) هو التخلص من الألم، فلماذا لا نقتصر عليه، يقول الدكتور محمد الحمد أيضًا: " ونحن إن نقدنا الأقوال، ولم نذهب مع تشعبها لا يعترضنا شك في الحق أن اللذةَ إدراكُ النفسِ ما يلائمها على ما رأى أهلُ الرأي الأول، وأَنَّ مَنْ حصر اللذة في التخلص من الألم لم يستقرئ في حَدِّها استقراءًا تامًا كما يجب أن يكون التحديد للموجودات، إنما نظر إلى نحو النوم، والأكل، والشراب من كل لذة دعا إليها احتياجٌ فطري، وضيَّق في دائرتها حتى كاد أن يُخْرِجَ المعارفَ كلَّها عن اللذة.

نحن لا ننكر أن أكثر اللذات لا يفارقه الشعور بمبدأ ألم، ولو بالأقل ألم الشوق إلى نَيل ما يلائم النفس، حتى ننكر على هذا القائل قوله كله.

ولكنَّا نعلم أن من اللذات ما ينساق إلى المرء بدون فكر سابق، وربما وقع منه موقعًا لا يقعه لو كان مترقبًا من قبل؛ فماذا ترون في هذا الإحساس؟!"[2].

والتعريف الأول هو ما أشار إليه الجرجاني وأضاف فائدة الاحتراز بقيد (إدراك الملائم)، حيث قال: "اللذة: إدراك الملائم من حيث إنه ملائم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق ،والنور عند البصر وحضور المرجو عند القوة الوهمية والأمور الماضية عند القوة الحافظة، تلتذ بتذكرها، وقيد الحيثية للاحتراز عن إدراك الملائم، لا من حيث ملاءمته

(1) مقالات لكبار كتاب العربية، للدكتور محمد إبراهيم الحمد ٢٤/١.
(2) مقالات لكبار كتاب العربية ٢٤/١.

فإنه ليس بلذة ،كالدواء النافع المُر فإنه ملائم من حيث إنه نافع فيكون لذة لا من حيث إنه مُر "[١].

وعرفها آخر بقوله: " اللذة هي الخير الذي لا خير بعده، وأن كل ما عداها حتى الفضيلة والفلسفة يجب أن يحكم عليه حسب قدرته على توفير اللذة"[٢].

وقد يرد على ذلك إشكال: وهو لذة الفاجر، وهي ليست خير، ويجاب على ذلك بأننا "إذا قلنا إذًا اللذة هي أعظم خير، فلسنا نقصد بذلك لذات الرجل الفاجر الداعر، أو اللذات التي تقع في مجال المتعة الجنسية ... ولكننا نقصد تحرر الجسم من الألم، والروح من الانزعاج، ذلك أن الشراب والمرح الدائمين أو الاستمتاع بصحبة النساء أو ولائم السمك وغيره من الأطعمة الغالية ليست هي التي تجعل الحياة سارة لذيذة، بل يجعلها كذلك هو التفكير الهادئ"[٣]..

وعرفها ابن سينا بقوله: "اللذة هي ادراك و نيل لوصول ما هو عند المدرك كمال و خير من حيث هو كذلك"[٤].

وخلاصة القول، يمكننا أن نقول: إن اللذة هي شعور داخلي بالسعادة والحبور أو كيفية نفسانية أولية لا تعرف الّا بنسبتها الى شروطها و أسبابها، وهي تنقسم إلى قسمين:

قال ابن سينا: "و اللذة، إما جسمانية تتولد من احساسات جسمانية متعلقة بمحسوس معين، و اما نفسانية تتولد من ادراك الكمال، فإنّ المدرك اذا اعتقد ان في اتصافه بالعلم

---

(١) التعريفات، للجرجاني٢٤٥/١.
(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤٩٥/٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الإشارات والتنبيهات، لابن سينا ص: ١٩١.

كمالًا تلذذ بالحصول عليه، و الأولى ان تسمى اللذة الناشئة عن إدراك الكمال سرورًا، أو حبورًا، او فرحًا، أو بهجة و سعادة، لأنها تغمر جميع اللذات"[١].

وفي بحثنا هذا نقصر الحديث على الكلام عن اللذة النفسانية المرتبطة بالدين، كلذة العلم والتي قال عنها الإمام الشافعي: "جعلت لذتي في هذا العلم وطلبه حتى رزقني الله منه ما رزق"[٢]، ولما سأله تلميذه الربيع بن سليمان: "كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه، فتوَدُّ أعضائي أن لها أسماعًا تتلذذ به مثل ما تنعمت الآذان"[٣]،وهو القائل:

سهري لتنقيح العلوم الذ لي من وصل غانية وطيب عناق
وصرير اقلامي على صفحاتها أحلى من الدّوْكاء والعشاق
وألذُّ من نقر الفتاة لدفها نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحل عويصة في الدرس أشهى من مدامة ساق
وأبيت سهران الدجى وتبيته نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي![٤]

وإذا كان هذا مع طلب العلم، فكيف يكون ذلك مع كتاب الله ﷻ، وهو أصل كل العلوم ومنبعه، والقرآن الكريم أيضًا ربيع الأسرار وترياق الأنوار، وحُداء الصائمين وروضة القانتين ،وما طابت الحياة بغير ذكر الله، وإن أعظم الذكر أن يذكر الله بكلامه وخطابه وما خرج منه، أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى

(١) المعجم الفلسفي، لكمال صليبا ٢٨٣/٢.
(٢) آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم ص: ٢٢.
(٣) مناقب الشافعي، للبيهقي١٤٣/٢.
(٤) ديوان الشافعي ص:١١.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {العنكبوت:٥١}، وإن لذائذ الدنيا لتهون عند لذة القرآن وفرحته وحلاوته ،ولكي نعرف قيمة هذه اللذة، ومنتهى السعادة التي ينتشي بها المؤمن أثناء تلاوته القرآن الكريم، تأمل معي هذا الحديث الذي يروي قصة الصاحبين الذيْن حرسا المسلمين عندما رجعوا من غزوة ذات الرقاع وأصاب أحد من المسلمين زوجة رجل من المشركين، فخاف ﷺ من زوجها أن يقتل أحدًا من المسلمين انتقامًا لزوجته، فأمر صحابيين أن يحرسا المسلمين تلك الليلة، فقال الأنصاري للمهاجري : (أي الليل أحب إليك أن أكفيك أوله أو آخره ؟ قال : اكفني أوله، قال : فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي وأتى زوج المرأة فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم، فرماه بسهم فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما يصلي، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه وثبت قائمًا يصلي، ثم عاد له الثالثة فوضعه فيه فنزعه فوضعه، ثم ركع فسجد ثم أهبّ صاحبه وقال: اجلس فقد أتيت فوثب ،فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذر به هرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك ؟! قال: **كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها**، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها)[1].

فانظر كيف كان شعوره ﷺ بلذة القراءة، واطمئنانه بها، حتى أنسته ﷺ هذه اللذة الشعور بالألم فاستمر في القراءة ولم يقطعها، فأي لذةٍ هذه؟! ويا لله من هذه اللذة!

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: نواقض الوضوء٢٧٥/٣، حديث رقم(١٠٩٦). وابن خزيمة في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: ذكر الخبر الدال على أن خروج الدم من غير مخرج الحدث لا يوجب الوضوء٢٥/١، حديث رقم(٣٦). قال الأعظمي: إسناده خسن. والحاكم في المستدرك، كتاب الطهارة٢٥٨/١، حديث رقم(٥٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وسنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب: الوضوء من الدم٥١/١، حديث رقم(١٩٨)، والسنن الكبرى، للبيهقي، كتاب: الطهارة، باب: ترك الوضوء من خروج الدم من عير مخرج الحدث١٥٠/٩، حديث رقم(٦٨١).

ويقول ابن مسعود ﷺ: "**إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن**"[١].

وإن تعجب من هذه اللذة، فعجب قول أسيد بن حضير ﷺ– حينما يحكي حاله مع هذه اللذة العظيمة– فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أسيد بن حضير من أفاضل الناس، فكان يقول: **لو أني أكون كما أكون محل حال من أحوال ثلاث لكنت من أهل الجنة وما شككت في ذلك: حين أقرأ القرآن وحين أسمعه**، وإذا سمعت خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة، فما شهدت جنازةً قط فحدثتني نفسي سوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه"[٢] .

فتأمل قوله: حين أقرأ القرآن وحين أسمعه.

المطلب الثاني

الفرق بين اللذة والألفاظ المشابهة لها

بعد معرفة حقيقة اللذة، بقي لنا التفريق بينها وبين الألفاظ المشابهة لها، فأردت تمييز اللذة عن هذه الألفاظ وذلك بتوضيح الفروق بينها، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: الفرق بين الشهوة واللذة:

يزعم البعض أن اللذة هي الشهوة والحقيقة أن ثمة فرق بنهما، "فالشهوة توقان النفس إلى ما يلذ ويسر، واللذة ما تاقت النفس إليه ونازعت إلى نيله فالفرق بينهما ظاهر"[٣].

(١) مصنف ابن أبي شيبة٢٠٣/٧، وفضائل القرآن، لابن سلام٤٥٣/١.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك٢٨٨/١، وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري ص: ٣٠٦.

فاللذة تزيد عن الشهوة في بذل الجهد للوصول إليها، فهي أعم وبالتالي فكل شهوة لذة وليس كل لذة شهوة.

ثانيا: الفرق بين الراحة واللذة:

يقول أبو هلال العسكري: "إن الراحة من اللذة ما تقدمت الشهوة له، وذلك أن العطشان إذا اشتهى الشرب ولم يشرب مليًا ثم شرب، سميت لذته بالشرب راحة وإذا شرب في أول أوقات العطش لم يُسم بذلك، وكذلك الماشي إذا أطال المشي ثم قعد وقد تقدمت شهوته للقعود سميت لذته بالقعود راحة، وليس ذلك من إرادته ولكنه يجري معها ويشكل بها، وعند أبي هاشم رحمه الله: أن اللذة ليست بمعنى، وفي تعيين الملتذ بها وبضروبها الدالة على اختلاف أجناسها دليل على أنها معنى، ولو لم تكن معنى مع هذه الحال لوجب أن تكون الارادة كذلك"[1]. فكأن اللذة بداية فعل الشيء الملتذ به بينما الراحة تكون بعد تمام فعله.

ثالثا: الفرق بين السعادة واللذة:

كلنا يبحث عن السعادة، ويظن الكثير منا أن السعادة تكمن في اللذات، والحقيقة أن بنهما بونًا شاسعًا لأن "السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضى النفس بها تام، على حين أن اللذة حالة مشتركة بين الانسان و الحيوان، و أن رضى النفس بها موقت. ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية مرضية، وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تامًا و دائمًا"[2].

---

(1) الفروق اللغوية ص: ٢٤٦.
(2) المعجم الفلسفي ٥٤٦/١.

ولا شك ان السعادة الحقيقية ليست في كنز الأموال وبناء القصور والتمتع بالشهوات بل السعادة الحقيقية في تأمل كتاب الله وتدبره والتزام منهجه، قال الله تعالى: (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) {طه: ١ – ٢ }، أي: لتسعد. قال الإمام الماتريدي: "بل أنزلناه لتسعد، وأنزلناه ليتذكر به من يخشى"[١]، ويقول الشيخ محمد بن محمد بن الخطيب المتوفي سنة (١٤٠٢هـ) –عن تجربته مع القرآن–: "وأقسم إنني كنت أكتب ما أكتب وأنا منشرح الصدر، منبسط النفس؛ حتى لو خيرت بين الاستمرار في تفسير آي الذكر الحكيم ،وبين السعادة لاخترت الأولى، وذلك لما كنت أجده من تذوق حلاوة القرآن، وفتح مغلق معانيه. كيف لا وهي السعادة كل السعادة: سعادة الدنيا والآخرة، سعادة القرب من حضرة الرب!"[٢].

ويقول الشيخ علي الطنطاوي: "**لقد جربت اللذائذ كلها، فما وجدت أمتع من الخلوة بكتاب الله تعالى**"[٣].

فنسأل الله ﷻ أن يسعدنا بالقرآن وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وهمومنا، اللهم اجعلنا من أهله ومن خاصة أهله يا رب العالمين.

وبعد أن عرفنا حقيقة اللذة وأهميتها، كان لزامًا علينا أن نتعرف على أسباب حصولها ؛كي يتحقق بها المؤمن، أو على الأقل يحرص على حصولها ويسعى في طلبها، وهذا ما سنبينه في المبحث الآتي.

---

(١) تفسير الماتريدي٧/٢٦٧.
(٢) أوضح التفاسير، محمد بن الخطيب ص: ٢٩.
(٣) علمتني آية، لملهم دوباني ص:٣.

المبحث الثاني

أسباب لذة القرآن

لكي يجد المؤمن حلاوة القرآن في قلبه ويلتذ بتلاوته، هناك مجموعة من الأسباب يشترط وجودها لتحقيق ذلك، ومن أهمها ما يأتي:

أولًا: الإخلاص:

لا شك أن أساس صحة الأعمال والعبادات: الإخلاص، قال تعالى:(فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) {غافر: ١٤} فأي عمل بلا إخلاص مردود على صاحبه، وعاقبته وخيمة.

وفي تعريف الإخلاص وبيان علاماته رويت أقوال عن بعض أهل العلم منها:

١. قال حذيفة المرعشي: "الإخلاص استواء أفعال العبد في الظاهر والباطن".

٢ـ قال الفضيل بن عياض: "ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك ،والإخلاص أن يعافيك الله منهما".

٣. وقال سهل التستري: "نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا، أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا".

٤. قال السري: "لا تعمل للناس شيئًا ولا تترك لهم شيئًا ولا تكشف لهم شيئًا"[١].

(١) ينظر هذه الأقوال وغيرها التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي ص: ٢٤ـ ٢٥.

ويمكن تلخيص ما تقدم في قول بعضهم: "الإخلاص: أن لا تطلب على عملك شاهدًا غير الله ولا مجازيًا سواه"[1].

قد يقول قائل: وهل يتصور أن إنسانًا يقرأ القرآن أو يعلِّمه غيرَه بدون إخلاص؟!

والجواب: نعم، ويكون أول من تُسعَّر به النار يوم القيامة، وهي حالة خطيرة جدًا وعاقبتها وخيمة، تأمل معي حديث رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ،وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[2]. فلو تأمل الإنسان هذا الحديث لكفاه عظة واعتبارًا.

ولخطورة هذا الموضوع حذر منه رسول الله ﷺ أيما تحذير، فقد أخبر ﷺ أن أقوامًا يقرؤون القرآن بدون إخلاص فهو لا يجاوز تراقيهم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال:

---

(1) مدارج السالكين، لابن القيم٢/٩٢.

(2) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار١٣/٥٠، حديث رقم (١٥٢)..

"سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[١]، وقال ﷺ: (اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)[٢]، ومعنى يتعجلونه ولا يتأجلونه: " يتعجلون أجره في الدنيا، ويطلبون على قراءتهم أجرة من الأعراض الدنيوية، ولا يصبرون إلى الأجر والثواب الذي يحصل لهم في دار الآخرة ،وقد وقع مثل ما قال عليه الصلاة والسلام"[٣].

وكذلك حذر السلف الكرام من أن يقرأ القرآن لأجل شيء من حطام الدنيا وأن يخلصوه لله يفلحوا، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "أريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم"[٤]، وقال أبو الدرداء ﷺ: "إياكم والهذاذين، الذين يهذون القرآن، يسرعون بقراءته، فإنما مثل أولئك مثل الكُنَّة[٥]: لا أمسكت ماء ولا أنبتت كلأ"[٦]، ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي له لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس"[٧].

وإصلاح النية ليس بالأمر الهيِّن،بل يحتاج إلى جهاد ومصابرة، قال سفيان بن عيينة: "اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: باب من رايا (إثم من راءى) بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به١/٢٦٢٠، حديث رقم(٥٠٥٨).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده٣/٣٥٧، ٣٩٧، وأبو داوود، كتاب: الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة١/٢٢٠، حديث رقم(٨٣٠) . وإسناده حسن، ينظر إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة٦/١١٧.
(٣) شرح أبي داؤود للعيني٤/١١.
(٤) أخلاق حملة القرآن، للآجري ص: ٤٦.
(٥) الكنة: بضم الكاف مع تشديد النون وفتحها هي الظلة تكون بباب الدار. ينظر غريب الحيث، للقاسم بن سلام١/٥٠.
(٦) مختصر قيام الليل، للمروزي ص: ١٣٥.
(٧) جامع بيان العلم وفضله١/٢٣٨.

لله ﷻ"[1]، وقال سفيان الثوري: "ما عالجت شيئًا أشد على من نيتي؛ إنها تتقلب علي"[2]، وسئل التستري: أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب"[3].

وخلاصة القول: أن القرآن الكريم نور، كما وصفه رب العزة والجلال، بقوله(قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) {المائدة: ١٥}، وفهم هذا النور والتلذُّذ به يحتاج إلى نور، وهو الإخلاص، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور[4].

فعلينا بإصلاح نياتنا وتحسين مقاصدنا، حينها ننتفع بقراءة القرآن وتتكشف لنا أسراره وأنواره، وننهل من علومه.

ثانيا: محبة القرآن وتعظيمه:

إن كل حركة في الوجود، إنما يبعثها الحب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهو أصل كل فعل ومبدؤه"[5].

وإن من أسباب لذة القرآن الكريم، أن يومن العبد بربه ويحبه ويعظمه، وهذه المحبة والعظمة ترتكز على القرآن الكريم فلا نجاح ولا فلاح إلا به، ولا طريق للسعادة إلا طريقه، يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: (لا يسأل عبد نفسه إلا القرآن، فإن كان يحبُّ القرآن فإنه يحب الله ورسوله)[6]، وفي رواية: (من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله ﷻ،

---

(1) أخلاق حملة القرآن ص: ٤٤.
(2) الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي٢١٧/١.
(3) بستان العارفين، للنووي ص:٢٧.
(4) ينظر تدبر القرآن الكريم، لعبد اللطيف بن عبد الله التويجري ص: ١٤٧.
(5) قاعدة في المحبة، لابن تيمية ص: ٧.
(6) فضائل القرآن، لأبي عبيد٥١/١، وسنن سعيد بن منصور١٠/١، والزهد لابن المبارك٣٨٨/١، والمعجم الكبير١٣٢/٩، وشعب الإيمان٣٥٣/٢.

فليعرض نفسه على القرآن، فمن أحب القرآن فقد أحب الله ﷻ)[1]، وقال سفيان بن عيينة: "لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله ﷻ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله ﷻ"[2]، وقال سهل بن عبد الله: "حب الله ﷻ حب القرآن، وحب رسول الله ﷺ العمل بسنته"[3].

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يحب القرآن أولًا ويقرأه ثانيًا، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره، ،ولكي يستفيد المؤمن من قراءته للقرآن، لابد أن تكون قراءته عن حب ولذة وشهوة، أما الذي يقرأ بلسانه فقط دون رغبة وشهوة يُعدم لذة القرآن، ولا يذوق حلاوته، وللأسف هذا واقع أكثرنا اليوم، فنسأل الله العافية من ذلك، يقول معاذ بن جبل ﷺ : (سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة،)[4]، وكان الحسن بن أبي الحسن البصري يقول: "تفقدوا الحلاوة في ثلاث: الصلاة والقرآن والدعاء ،فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة"[5]. فاللهم لا تسلبنا حلاوة القرآن.

وتعظيم القرآن ومحبته تعظيم لله ﷻ صاحب العظمة والجبروت، قال حجة الإسلام الغزالي: "فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله، فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها

(1) الزهد، لابن المبارك١٣/١، والسنة، لعبد الله بن الإمام أحمد١٤٨/١.
(2) شعب الإيمان٣٦٥/١، وحلية الأولياء٢٧٨/٧.
(3) الجامع لأحكام القرآن٦٠/٤، وفيض القدير٦٦/٢.
(4) أخرجه الدارمي في سننه٥٣١/٢، حديث رقم (٣٣٤٦). قال حسين بن سليم: إسناده صحيح إلى معاذ وهو موقوف عليه.
(5) شعب الإيمان٤٤٧/٥.

واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته، وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام"[1].

فحريٌّ بنا نحن المسلمين أن نعظم هذا الكتاب ونقدسه ونتخذه نبراسًا لحياتنا، فهو كتاب الله تعالى وكلامه، وليس بعد كتاب الله كتاب، ولا كلامًا أحلى من كلامه ﷻ.

ثالثًا: حياة القلب وطهارته:

إن الأصل في خطاب القرآن أنه موجَّهٌ إلى القلب، وفي هذا دليل على أن القلب أمره جلل، وهو سرٌ من أسرار الله في الأرض، كما قال القائل:

للقلب سرٌّ ليس يعرف قدرَه إلا الذي آتاه للإنسان[2]

ومن هنا جاء التعظيم من شريعتنا الحنيفة لشأن هذه الجارحة كثيرًا، ولو لم يأت إلا ما ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[3]، لكفى.

والمقصود بالقلب هنا ليس قطعة اللحم المعروفة التي تضخ الدم للجسم، بل المقصود: اللطيفة الربانية، يقول حجة الإسلام الغزالي: "إن القلب يأتي لمعنيين :

---

(1) إحياء علوم الدين١/٢٨١.
(2) فن التدبر في القرآن الكريم، عصام العويد ص: ٢٩.
(3)أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي. باب: فضل من استبرأ لدينه١/٥٦. حديث رقم(٥٢). ومسلم، كتاب: المساقاه، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات٣/١٢١٩، حديث رقم(١٥٩٩).

أحدهما : اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، و هذا القلب تشترك فيه كافة الحيوانات مع الإنسان، وهذا القلب هو الذي يتعلق به غرض الأطباء لا الغرض الديني.

والثاني: اللطيفة الربانية الروحانية التي لها بهذا القلب الجسماني تعلق، و هو حقيقة الإنسان ،والمدرك العالم العارف منه، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، وله علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيَّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته؛ فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، وهو بهذا يرادف معنى الروح التي علمها عند الله تعالى: (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)[الإسراء: ٨٥].كما يرادف معنى النفس وأحد معنيي العقل، إذ يطلق العقل عنده على معنيين هما: صفة للعلوم التي محلها القلب ،والمدرك للعلوم، فيكون الثاني بمعنى القلب"[١].

ومما يبين أن القلب هو المخاطب أمور، من أهمها:

أ . أن القرآن نزل أولًا على القلب:

يقول الله تعالى: وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤]. فتأمل قوله: عَلَى قَلْبِكَ ولم يقل: (على سمعك)، أو (على بصرك)، أو نحو ذلك، ويقول تعالى:(قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ) [البقرة: ٩٧]، فالقلب هو المخاطب الأول إذًا ،وبالتالي إذا خشع القلب، خشعت كل الجوارح، وإذا استفاد القلب استفادت كل الجوارح ،لكن المشكلة إن

(١) إحياء علوم الدين٤/٣ ـ ٦.

أعرض القلب، كانت الجوارح كالرعية بلا راعي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –بعد كلام له طويل عن أحوال القلب–: "وهذا الذي ذكرنا مما يبين أن أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها"[١].

ولذا فقد يعمل الإنسان أعمالًا قليلة لكن نيته حسنة، فيفوق صاحب الأعمال الكثيرة دون نية ومقصد حسن، يقول الإمام ابن القيم :" فالكيّس[٢] يقطع من المسافة بصحة العزيمة ،وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية مع العمل القليل، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق"[٣].

ب . أن أعظم أثر للقرآن إنما هو في القلب:

إن من أعظم فوائد الإقبال على القرآن الكريم، هو حياة القلب وصلاحه، وأعظم داء يُصاب به المعرض عن القرآن هو: موت القلب وقسوته؛ ولذا قصرت الذكرى على من كان له قلب، قال تعالى:(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) {ق: ٣٧}، قال مجاهد في قوله: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ: لا يحدِّث نفسه بغيره، وَهُوَ شَهِيدٌ قال: شاهد القلب"[٤]، وقال محمد بن كعب: "يستمع وقلبه شاهد، لا يكون قلبه في مكان آخر"[٥]؛ ولذلك لما قيل لبعضهم: :إذا قرأت القرآن تحدِّث نفسك بشيء؟ فقال: أي شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي"[٦].

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لابن تيمية ص: ٥.
(٢) الكيِّس:الفطن العاقل من الكيْس بسكون الياء وهو الظرف والفطنة، وقال ابن الأعرابي العقل. ينظر المصباح المنير٢/٥٤٥.
(٣) الفوائد، لابن القيم١/١٥٣.
(٤) تفسير الطبري١٩/٤٨١.
(٥) المصدر نفسه٢١/٤٦٣.
(٦) حلية الأولياء٣/٢١٦.

وقال الإمام القرطبي: "وقيل: لمن كان له حياة ونفس مميزة، فعبر عن النفس الحية بالقلب ؛لأنه وطنها ومعدن حياتها... وفي التنزيل:(لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) { يس: ٧٠}. وقال يحيى بن معاذ: "القلب قلبان: قلبٌ محتش بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من الأمور الآخرة لم يدر ما يصنع، وقلبٌ قد احتشى بأهوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة"[١].

ولما كان سلفنا الصالح أرباب قلوب حية وأفئدة نقية، انتفعوا بالقرآن وتدبروه حق التدبر ،فظهرت آثار ذلك عليهم، من وجل القلوب، وقشعريرة الجلد ودمع العين، كما قال الله تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) {الأنفال: ٢}، وكما قال عن تأثرهم أيضًا: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) {الزمر: ٢٣}، ومن تطبيقات ذلك ما يأتي:

١. ذكر الإمام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ)}الطور: ٧}: أن عمر ﷺ خرج يعِسُّ المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلي ،فوقف يستمع قراءته فقرأ: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ)} قال: قسمٌ ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره واستند إلى حائط، فمكث مليًّا، ثم رجع إلى منزله فمكث شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه ﷺ"[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي٢٣/١٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٢٤١/٤.

٢ـ ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور عند قوله تعالى: (أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء)[الأعراف:٥٠] قال عقيل بن شهر الرياحي: شرب عبد الله بن عمر ماءًا باردًا فبكى ،فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)[سبأ:٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله تعالى: (أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ)"[١].

٣. عن عبادة بن حمزة قال: "دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ (وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ) [الطور: ٢٧] فوقفت عندها، فجعلت تعيدها وتدعو ،فطال عليَّ ذلك فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو"[٢].

كذلك تحقق للسلف الصالح مع الإيمان الراسخ: العمل الصالح مع الرسوخ والتمكن في علوم الشريعة، فذاقت قلوبهم حلاوة هذا الكتاب وتلذذت ألسنتهم بتلاوة آياته العظام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "**ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والهدى وشفاء القلوب والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيءٍ من الكلام، لا منظومه ولا منثوره**"[٣].

وهذه الحلاوة لن تحصل وتلك اللذة لن تتم، حتى يتم تطهير القلب من علائق الدنيا وتفريغه من شهواتها وأوساخها، كما قال عثمان ﷺ: "**لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله**"[٤]. وهذه العبارة تُعد كلمة بليغة جامعة منه ﷺ، وقد حقق ذلك عملًا من خلال

(١) الدر المنثور، للسيوطي٣/٤٦٩.
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي ص:٨١.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ص:٣٨٤.
(٤) الزهد، للإمام أحمد ص:١٨٨.

كثرة مداومته ومصاحبته لكتاب الله حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه، وقد رثاه شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت ﷺ بقوله:

بـل ليـت شـعري، وليـت الطيـرَ تخبرنـي مـا كـانَ شـأنُ علـيٍّ وَابـنِ عفّانـا

ضـحّوا بأشـمطَ عنـوانُ السـجود بِـهِ يُقَطّـع الليـل تسـبيحاً وقرآنـا[1]

فالقرآن الكريم هو حياة للقلب وإكسير للصدر وتثبيت للفؤاد، فحري بالمؤمنين أن يكثروا من تلاوة هذا الكتاب الكريم، ولله در القائل:

وواظِـبْ علـى درسِ القـرآن فـإن فـي تلاوتـه الإكسـيرُ والشـرح للصـدر[2]

أضف إلى ذلك أن تطهير القلب طريق لفهم القرآن، فينبغي للمؤمن الحق أن لا ينشغل عن كتاب الله بغيره، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ،ولا تشغلوها بغيره"[3].

ولقد قال الله تعالى: (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)}الواقعة: ٧٩{، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – تعليقا على من قال أن المقصود بالضمير في (يَمَسُّهُ) يعود على اللوح المحفوظ–: "كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر ،**فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين**"[4].

---

(1) ديوان حسان بن ثابت ص:٢٣٠، ومطلع القصيدة:
مـن سـرَّه المـوتُ صِـرفا لا مـزاجَ لـه فليـأتِ مأسـدةً فـي دارِ عثمانـا

(2) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، للإمام الحداد ص: ٢٣١.
(3) حلية الأولياء، لأبي نعيم١٣١/١.
(4) مجموع الفتاوى، لابن تيمية٢٤٢/١٣.

فيا صاحب القرآن: إذا أردت أن تفتح صفحات هذا القرآن العظيم، فعليك أولا أن تتفقد قلبك، هل فتحت صفحاته هو أيضًا؟ أم على قلوب أقفالها؟!

رابعًا: حسن الاستماع والإنصات:

إن خير ما تشنف به الآذان وتتلذذ به الأسماع من الأصوات الحسان: كلام الرحيم الرحمن ،قال تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) {الأعراف: ٢٠٤}، والمقصود من الاستماع: الاستماع الذي يجني المؤمن بسببه النفع ويكون سببًا للموعظة والتذكير، قال الإمام الطبري –في تفسيره لهذه الآية–: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به، المصدقين بكتابه، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة: فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ،عليكم، أيها المؤمنون، قُرِئَ ، يقول: اصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، ﭼ ﯘ ﭽ إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه، ﭼﯙ وﭽ، يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره ،واستعمالكم ما بيَّنه لكم ربكم من فرائضه في آيه"[1].

ومن هنا عُني السلف الصالح بالتفرغ التام لاستماع القرآن وعدم الانشغال عنه، فقد (كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه)[2]، و(كان عثمان بن زائدة إذا قرئ عليه القرآن غطى وجهه بثوبه، يتأول قول الله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ، فيكره أن يشغل بصره وشيئًا من جوارحه بغير استماع"[3].

---

(1) تفسير الطبري١٢/٢٤٤.
(2) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير قوله تعالى: ﭼﯗ ﯘ ﯙ ﭽ ٨/١٨٩، حديث رقم(٤٥٢٦).
(3) الدر المنثور٣/٢٨٦.

وقد جاء في سبب نزول الآية ما روي عن قتادة قال: "كانوا يتكلمون في الصلاة أول ما أمروا بها، كان الرجل يجيء وهم في الصلاة فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ) فأمروا بالاستماع والإنصات، عُلم أن الإنصات هو أحرى أن يستمع العبد ويعيه ويحفظه، علم أن لن يفقهوا حتى ينصتوا، والإنصات باللسان والاستماع بالأذنين"[1].

وفي هذا دليل على أن الاستماع أمرٌ في غاية الأهمية، بل هو أول خطوة للعلم، وأنه الطريق إلى الفهم، يقول سفيان بن عيينة: "أول العلم: الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر"[2] .

ومما يدل على أهمية الاستماع: أن رسول الله ﷺ وهو الذي أنزل عليه القرآن، وهو أعلم الناس بالقرآن، بل أفضل من قرأ القرآن –فداه أبي وأمي ﷺ– كان يحب أن يسمع القرآن من غيره، قال ابن مسعود ﷺ: (قال لي النبي ﷺ اقرأ علي. قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً)}النساء: ٤١{، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان)[3].

ومما يشد الانتباه: أن رسول الله ﷺ هو سيِّد الأولين والآخرين وخير من قرأ القرآن وتدبره ،بل هو الذي يُقرئ ويُعلم غيره القرآن، فلماذا يحب سماع القرآن من غيره؟ لا شك أن

---

(1) تفسير الطبري١٠/٦٦٢.
(2) حلية الأولياء٧/٢٧٤، وشعب الإيمان، للبيهقي٢/٢٨٩، وتفسير القرطبي١١/١٧٦.
(3) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)٤/١٦٧٣، حديث رقم(٤٣٠٦).

هناك درسًا مهمًا يريد ﷺ من أمته أن تتعرف عليه، يقول ابن بطال: "يحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه؛ وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ ؛لاشتغاله بالقراءة وأحكامها"[١].

ويؤكد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول: "**ولهذا السماع من المواجيد العظيمة ،والأحوال الجسمية، مما لا يتسع له خطاب، ولا يحويه كتاب، كما أن في تدبر القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان**"[٢].

فعلينا إذًا أن نصغي أسماعنا ونشنف آذاننا لسماع واستماع القرآن الكريم كي نزداد إيمانًا ،ونذوق ولو شيئًا يسيرًا من حلاوة هذا الكتاب المعجز.

خامسًا: قراءة القرآن مع العلم من القارئ بأنه المخاطب بكل خطابات القرآن:

من الأمور المهمة لقارئ القرآن كي يفهمه ويلتذ به، أن يقرأ القرآن الكريم وكأنه يخاطبه ،فما إن يسمع أمرًا أو نهيًا إلا قدر أنه المأمور والمنهي، وما إن يسمع وعدًا أو وعيدًا إلا قدر مثل ذلك؛ ولهذا كان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: "إذا سمعت :يا أيهاالذين أمنوا) فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه"[٣]، وقال بعض السلف: "هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات ،وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات"[٤].

(١) شرح ابن بطال٩/٢٧٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٨١.
(٣) مسند أحمد ١/١٥٨، والزهد، لابن المبارك١/١٣، وحلية الأولياء، للأصبهاني١/١٣٠.
(٤) إحياء علوم الدين١/٣٣٦.

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس، فالقارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس، فليقدر أنه المقصود، قال تعالى:(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ){الأنعام:١٩}، قال محمد بن كعب القرظي: "من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه؛ ليتأمله ويعمل بمقتضاه"[١]، قال حجة الإسلام الغزالي: "أن يُقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي ﷺ، ولذلك قال تعالى:(مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ){هود:١٢٠}، فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء، وصبرهم على الإيذاء، وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى"[٢]. ويقول ابن قدامة: "وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه مقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرد بها السمر بل العبر، فليتنبه لذلك، فحينئذ يتلو تلاوة عبد كاتبه سيّده بمقصود، وليتأمل الكتاب ويعمل بمقتضاه..."[٣].

ومن جرب ذلك عرف قيمة هذا الكتاب العظيم واهتدى بهديه واستنار بنوره، وممن جرب ذلك محمد إقبال حيث يحكي قصته مع قراءة القرآن، فيقول: "قد كنت تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا أصنع؟ فأجيبه: أقرأ

(١) موعظة المتقين من إحياء علوم الدين، للقاسمي ص:٨٤.
(٢) إحياء هلوم الدين٢٨٧/١.
(٣) مختصر منهاج العابدين، لابن قدامة ص:٥٤.

القرآن ،وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبي تسألني نفس السؤال وأجيبك جوابًا واحدًا، ثم لا يمنعك ذلك من إعادة السؤال من غدٍ؟ فقال إنما أردت أن أقول لك: **يا ولدي؛ اقرأ القرآن كأنما نُزِّل عليك**. ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت"[1]. وقال أحمد بن ثعلبة: "سمعت سلْمًا الخواص قال: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك تسمعينه من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوته، ثم أردت زيادة فقلت: اقرئيه كأنك تسمعينه من جبريل عليه السلام ينزل به على النبي ﷺ، فزادت حلاوته ،ثم قلت: اقرئيه كأنك تسمعينه من رب العالمين حين تكلم به، فجاءت الحلاوة كلها"[2].

فما أجمل أن يعيش المؤمن في أحضان هذا الكتاب، ويجني من روضاته أحلى الثمار، ويترنم ويتلذذ بسماع أحلى كلام.

سادسًا: قراءة القرآن في صلاة الليل

إن من أفضل الأوقات وأجمل الساعات أوقات الليل، لأن فيها يناجي العبد ربه ويختلي به ويتقرب إليه بتلاوة كتابه.

ومن هنا كان السلف الكرام يفرحون بقدوم الليل ويتلذذون بقيامه، بل ما أحبوا البقاء في الدنيا إلا لذلك، فمن أقوالهم رحمهم الله: قال الفضيل بن عياض: "إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس علي. وقال أبو سليمان:

(1) روائع إقبال، لأبي الحسن الندوي ص: ٣٨ ـ ٣٩.
(2) سير أعلام النبلاء٨/١٨٠.

"أهل الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا". وقال أيضًا: "لو عوَّض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة، لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم". وقال بعض العلماء: "**ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة**". وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا ،إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم". وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة"[1].

ولا شك أن اللذة الحقيقية في مناجاة الليل إنما هي لذة تلاوة القرآن الكريم، ولله در الإمام الحداد حيث يقول:

قـــوم إذا أرخـــى الظـــلامُ ســـتورَه لـــم تلفِهـــم رهْـــنَ الوِطـــا والمْضـــجع

بـــل تُلفِهـــم عُمـــدَ المحـــارب قُوّمًـــا لله أكـــــرم بالســـــجود الركّـــــع

يتلـــون آيـــات القـــرآن تـــدبرًا فيـــه ولا كالغافـــل المتـــوزّع [2]

ولذة تلاوة القرآن هي أعظم لذائذ الدنيا، وهي التي تصنع الأعاجيب، وينبهر بها كل لبيب ،فلا لذة المال أو الجاه أو الملك تساويها، بل ولا لذة النكاح أيضًا والتي هي أمتع اللذات. تأمل معي هذا الخبر، روى ابن المبارك عن مولى لأبي ريحانة قال : "قَفَل أبو ريحانة من بعث غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائهم، ثم دعا بوضوء و توضأ منه، ثم قام إلى مسجده – يعني مصلاه في بيته – فقرأ سورة ثم أخرى، ولم يزل

(1) ينظر هذه الأقوال وغيرها: إحياء علوم الدين ٣٥٨/١.
(2) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم ص: ٤٥٠.

كذلك مكانه، كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى، حتى إذا أذَّن المؤذن من سحر شد عليه ثيابه فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة قد غزوت فبقيت في غزوك ثم قدمت، فلم يكن لي منك حظ ولا نصيب، فقال: بلى والله ما خطرتِ لي على بال، ولا ذكرتك، ولو ذكرتكِ لكان لك عليَّ حق، قالت : فما الذي شغلك عنا يا أبا ريحانة ؟ قال: **لم يزل قلبي يهيم فيما وصف الله في جنته من لباسها و أزواجها و نعيمها و لذاتها حتى سمعت المؤذن**"[1].

فتأمل كيف أنسته لذة القرآن لذة النكاح، فشتَّان بين اللذتين، وأين الثرى من الثريا؟!

فحريٌ بنا أن نحرص على قيام الليل ونعمره بتلاوة القرآن الكريم وتأمله، قال الله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)[الإسراء: ٧٩]، كيف لانتلذذ بهذا الكتاب ونطيل التأمل فيه وقدوتنا رسول الله ﷺ، ففي حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: (سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)[2]. والمراد بالقنوت: طول القيام، فكان أفضل لكون ذلك محل قراءة القرآن[3]، وقد طبق ذلك رسول الله ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح (البقرة) فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح (النساء) فقرأها، ثم افتتح (آل عمران) فقرأها؛ يقرأ مترسلًا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ،وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: (سبحان ربي

(1) الزهد لابن المبارك١/٣٠٥.
(2) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب:أفضل الصلاة طول القنوت١/٥٣٠، حديث رقم (٧٥٦).
(3) ينظ شرح النووي على مسلم٤/٢٠٠.

العظيم) فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: (سمع الله لمن حمده)، ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: (سبحان ربي الأعلى) فكان سجوده قريبا من قيامه)[١].

وهكذا السلف ﷺ سلكوا هذا الطريق، فأحيوا ليلهم بالصلاة وتدبر القرآن، فقد وصفهم صاحبهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بقوله: "لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شُعثا عُبرا صُفرًا ... قد باتوا سجدًا وقيامًا يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم"[٢]. وقال عنهم الحسن البصري :"إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار"[٣].

بل ومن بعدهم ساروا على دربهم، فعكفوا على قيام الليل وإحيائه بالقرآن، قال أبو زيد معضد العجلي: "**لولا ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب الله ﷻ، ما باليت أن أكون يعسوبًا**[٤]"[٥]. وقال ثابت البناني: "ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل"، وكان أحمد بن أبي الحواري يقول: "إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية، فيحار عقلي فيها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسيغهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتكلمون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلَوا المناجاة به، لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا ووفقوا"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل١/٥٣٦، حديث رقم(٧٧٢)..
(٢) حلية الأولياء١/٧٦.
(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي ص: ٢٩.
(٤) اليعسوب: ملكة النحل وهي أنثى، وكان العرب يظنونها ذكرا لضخامتها، وقيل: اليعسوب: ذكر النحل، ويقال هو يعسوب قومه: رئيسهم وكبيرهم ومقدمهم. ينظر المعجم الوسيد٢/٦٠٠، والقاموس المحيط١/١٠٥.
(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد ص: ٦٠، والزهد والرقائق ، لابن المبارك ص:٩٤.
(٦) حلية الأولياء١٠/٢٢.

فماذا بعد هذا البيان إلا التشمير والاجتهاد في طلب هذا الوقت والتنعم بلذته وروحانيته بقراءة كلام ربنا اللطيف المنان، ولا شك أن الوصول إلى ذلك يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل وصبر جميل، قال ثابت البناني: "كابدت القرآن عشرين سنة، ثم تنعمت به عشرين سنة"[١].

وبما أن المشوار طويل، وربما تفنى دونه الأعمار، فلا أقل من أن يسلك المؤمن هذا الطريق وإن مات في منتصفه "وفي مثل بليغ حق بليغ: أن نملة انطلقت في طريقها، عاقدة عزيمتها على حج بيت الله من أقصى الأرض! فقيل لها: كيف تدركين الحج وإنما أنت نملة؟ إنك ستموتين قطعا قبل الوصول! قالت: **إذًا أموت على تلك الطريق!**"[٢]، وأي طريق أفضل من طريق القرآن ، وأي لذة أعظم من لذة القرآن؟!

سابعًا: فهم معاني القرآن

إن الوصول إلى لذة القرآن لا يكون إلا بعد فهم معانيه والعلم بأحكامه ومعرفة تفسيره ،يقول الطبري: "**إني لأعجب ممن يقرأ القرآن كيف يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه؟!**"[٣]، وهذا هو المنهج النبوي الذي تربى عليه الصحابة ﷺ، وربى الصحابة من بعدهم على ذلك ،وسار عليه من رام الانتفاع بالقرآن والتلذذ به، يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[٤]، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن

(١) إحياء علوم الدين٢٨٢/١.
(٢) المشوق إلى القرآن، لعمرو الشرقاوي ص: ٩.
(٣) معاني القرآن، للنحاس٤/١.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤١٠/٥.

مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا"[١].

ومن هنا حذر السلف الكرام من قراءة القرآن مع عدم العلم بتفسيره، ومن أقوالهم رحمهم الله: يقول ابن عباس رضي الله عنه: "الذي يقرأ ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذ الشعر"، وقال مجاهد: "أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل"، ويقول إياس بن معاوية: "مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلًا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب"[٢].

والمقصود بالفهم هنا: الفهم العام والذي يكون متيسِّرًا لكل الناس، كلٌّ على حسب طاقته وقدرته؛ لأن الله تعالى يسَّره للذكر فقال: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)}القمر: ١٧}، "وهذا من جملة الوجوه الإعجازية فيه، إذ من العجب إيراد كلام من جنس كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب، مفهوم معقول، ثم لا يقدر البشر على الإتيان بسورة مثله ولو اجتمعوا وكان بعضهم لبعض ظهيرا؛ فهم أقدر ما كانوا على معارضة الأمثال، أعجز ما كانوا عن معارضته"[٣]. وللشيخ الصنعاني كلام بديع، يقول فيه: "إن الله –سبحانه–كمَّل عقول العباد ورزقهم فهم كلامه ، ثم إن فهم كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لا يحتاج في معناها إلى علم النحو ولا إلى

(١) تفسير الطبري١/٣٥.
(٢) ينظر هذه الأقوال وغيرها: المحرر الوجيز، لابن عطية١/٤٠.
(٣) تدبر القرآن الكريم، ص:٩٧.

علم الأصول، بل في الأفهام والطباع والعقول ما يجعلها تُسارع به إلى معرفة المراد منها عند قرعها الأسماع، من دون نظر إلى شيء من تلك القواعد الأصولية والأصول النحوية، فإن من قرع سمعه قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله يفهم معناه من دون أن يعرف أن (وما) كلمة شرط و(تجدوه) مجزوم بها؛ لأنه شرطها و جزاؤه مجزوم بها؛ لأنه جزاؤه ،ومثلها {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً }{آل عمران:٣٠} ومثلها {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } {النحل: ٩٠} يفهم من الكل ما أريد منها، من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية ودقائق القواعد الأصولية؛ ولذا ترى العامة يستفتون العالم ويفهمون كلامه وجوابه وهو كلام غير معرب في الأغلب، بل تراهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وما حواه، ولا يعرفون إعرابًا ولا غيره مما سقناه، بل ربما كان موقع ما يسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقَّق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد، وهؤلاء العامة يحضرون الخطب في الجمع والأعياد ويذوقون الوعظ ويفهمونه ويفتِّت منهم الأكباد، وتدمع منهم العيون ،ويدركون من ذلك ما لا يدركه العلماء المحققون، ويسمعون أحاديث الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب، وأنت تراهم يقرؤون كتبًا مؤلفة من الفروع الفقهية كـ(الأزهار) للهادوية، و(المنهاج) للشافعية، و(الكبير) للحنفية، و(مختصر خليل) للمالكية، ويفهمون ما فيها ويعرفون معانيها ويعتمدون عليها ويرجعون في الفتوى والخصومات إليها. فليت شعري ما الذي خص

الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها، وفهم تراكيبها ومبانيها ،والإعراض عن استخراج ما فيها حتى جعلت معانيها كالمقصورات في الخيام، قد ضربت دونها السجوف[١] ولم يبق لنا إليها إلا ترديد ألفاظها والحروف، وإن استنباط معانيها قد صار حجرًا محجورًا وحَرمًا محرمًا محصورا"[٢]. ويقول الشيخ مخمد عبده: "ومن الممكن أن يتناول كل أحد من القرآن بقدر ما يجذب نفسه إلى الخير، ويصرفها عن الشر؛ فإن الله تعالى أنزله لهدايتنا وهو يعلم منا كل أنواع الضعف الذي نحن فيه"[٣].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن فهم القرآن وتدبره ليس مقصورا على طائفة دون طائفة ،بل كل واحد لا بد أن يأخذ حظه من القرآن، بحسب ما معه من الفهم والعلم والإدراك ،وبحسب ما يفتح الله عليه، ومن حصره بالعلماء فقد بالغ في ذلك[٤].

وليس معنى كلامنا هذا أننا ننفِّر من دراسة العلوم التي تساعد على التدبر وفهم القرآن، وفي مقدمتها اللغة العربية والرجوع إلى كتب التفسير، بل هذا مهم، وهو نور على نور، كيف لا والقرآن كتاب عربي وتعقُّله لا يكون إلا بفهم اللغة العربية {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }{يوسف: ٢}، وكلامنا هنا على أقل القدر الذي يحصل به الفهم والتدبر والذي هو مشترك بين جميع الناس.

(١) السجوف: السجف والسجف-بفتح السين وكسرها -: الستر، والجمع سجوف وأسجاف. ينظر مقاييس اللغة لابن فارس١٠٤/٢، ولسان العرب١٤٤/٩.
(٢) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، للصنعاني ص: ١٥٩- ١٦٠.
(٣) تفسير سورة الفاتحة وجزء عم، لمحمد عبده ص: ١٢.
(٤) للشيخ الشنقيطي في (أضواء البيان) كلام بديع رد فيه على من يحصر التدبر في العلماء، وذلك عند تفسيره سورة محمد آية(٢٤) ٤٥٨/٧- ٥١٧. فليراجع.

والدليل على ذلك أن من العرب أنفسهم ممن لم يتضلَّع في علوم العربية يستطيع أن يفهم القرآن، بل يرد على الحاذق باللغة العربية، ومثال ذلك قصة الأعرابي مع الإمام الأصمعي شيخ العربية، حيث يقول: "قرأتُ يومًا هذه الآية {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ }{المائدة: ٣٨} وإلى جنبي أعرابي فقلت: (والله غفور رحيم) سهوًا، فقال الأعرابي: كلامُ من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: ليس هذا بكلام الله، أعِدْ، فأعدت وتنبهتُ فقلت: { وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }فقال: نعم هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أني أخطأتُ؟ فقال: يا هذا: عزّ َ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع"[1].

أضف إلى ذلك أن كثيرًا من الأعاجم ممن لا يعرفون اللغة العربية فهموا القرآن وتأثروا به، بل ذاقوا حلاوته وتلذذوا بتلاوته، ومن هؤلاء:

١ـ يذكر في سيرة الإمام أحمد السرهندي أنه كان يبدو عند تلاوته لكتاب الله تعالى، ويظهر على وجهه أن الحقائق القرآنية تفيض عليه، وأن بركاته تنسكب وأنواره تنهمر، وكان إذا قرأ آيات العذاب أو الآيات التي جاءت بصيغة التعجب والاستفهام، تجاوب معها وتكيَّف بها.

٢. كان الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادي يقرأ القرآن ذات يوم، إذ غلبه الوجد –التأثر والاستغراق المشاعري الشديد مع الآيات– فقال للشيخ السيد تجمل حسين: **إن اللذة التي نجدها في القرآن، لو وجدتم منها ذرَّة لما صبرتم على الجلوس مثلنا، ولخرجتم تمزقون ثيابكم إلى الصحراء**، ثم قال: آه، ودخل حجرته ومرض لعدة أيام [2].

---

(1) التفسير الوسيط، للواحدي٢/١٨٥.

(2) ينظر المدخل إلى الدراسات القرآنية، لأبي الحسن الندوي ص: ١٠٤- ١٠٦.

وبالتالي فإن من حُرم فهم القرآن وتدبر آياته، فقد حُرم لذته والانتفاع به، قال الإمام الزركشي: "ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئاً"[١].

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا فهم القرآن ويفيض علينا من علومه ويذيقنا برْدَ لذته وحلاوته.

وإذا كنا قد تعرفنا على أسباب لذة القرآن، فمن الضروري أيضًا أن نتعرف على موانع لذة القرآن؛ كي نحذر منها ونبتعد عنها، وهي ما سنبينه في المبحث الآتي.

المبحث الثالث

موانع لذة القرآن

إذا كان للتلذذ بالقرآن وطلب الانتفاع به أسباب، فإن ثمَّة موانع تحول بين قارئ القرآن وسامعه، وبين التلذذ والانتفاع به، وهذه الموانع قد تكون ظاهرة لا تخفى على أحد، وقد يكون بعضها خفيًا لا يُنتبه له، وقد تكون عامة مشتركة بين الناس وقد تكون خاصة بفئام منهم، وبيان ذلك من خلال الحديث عن الموانع الآتية:

أولاً: الإصرار على المعاصي والذنوب:

إن من أعظم ما يصد القارئ عن تدبر القرآن وتذوقه، ويحول دون إقبال قلبه على مواعظه وحكمه: إصراره على الذنوب والمعاصي والاستمرار فيها حتى يكون مرتعًا للشيطان ويقع في شباكه، فينسى ذكر الله تعالى ويعيش في غفلة دائمة، قال تعالى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[المجادلة: ١٩].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي٢/١٥٥.

وقد حذر السلف الكرام رحمهم الله من الوقوع في الذنوب والمعاصي، والولوج في الخطايا والمآثم، وبينوا آثارها السيئة ونتائجها الوخيمة على العبد والأمة جمعاء في الدنيا والآخرة ومن أهم هذه النتائج: حرمان التلذذ بالقرآن الكريم والانتفاع به، يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "إذا كنت في خلوتك لا تبكي على خطيئتك، ولا تتأثر بتلاوة كتاب ربك، فاعلم أنك مسكين قد كبلتك خطيئتك"، وقال أيضا: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه للخطيئة يعملها"[1].

ومن كلام أهل العلم في التحذير من الذنوب والمعاصي وأثرها في حرمان فهم القرآن والتلذذ به، قول الحافظ ابن قدامة: "وليتخلى التالي من موانع الفهم... ومن ذلك أن يكون التالي مصرًا على ذنب، أو متصفًا بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصداه، فهو كالجرب على المرآة، يمنع من تجلى الحق، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة"[2]. وقال الإمام الزركشي: "واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو معتمدًا على قول مفسر ليس عنده إلا علم

(1) ينظر لهما سنن الدارمي١/١١٧.
(2) مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي ص: ٥٣.

بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض"[١].ولله در الإمام الشافعي حينما قال:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يُهدى لعاصي[٢]

وقال سهل بن عبد الله التستري: "حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله ﷻ"[٣].

ومن أهم الذنوب والأمراض المانعة من التلذذ بالقرآن والانتفاع به: أمراض القلوب من كبر وعجب وحقد وحسد، قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }{الأعراف: ١٤٦}، قال سفيان بن عيينة: "أنزع عنهم فهم القرآن"[٤]، وقال الفضيل بن عياض: "آفة القراء العجب"[٥]، فالكبر من أصول الخطايا والذنوب التي بسببها يحرم العبد الانتفاع بالقرآن والتلذذ به، يقول الإمام ابن القيم: "أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر وهو الذي أصار إبليس إلى ما أضاره، والحرص وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه، فمن وُقي شر هذه الثلاثة، فقد وُقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد"[٦].

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي٢/١٨٠.
(٢) ديوان الإمام الشافعي ص: ١٠.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة ص: ٦٧.
(٤) الدر المنثور، للسيوطي٣/٥٦٢.
(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي٨/٤٤٢.
(٦) الفوائد، لابن القيم ص:٥٨.

ومما حذر منه العلماء أيضًا: الغيبة المنهي عنها في الكتاب والسنة، فهي مانعة من الانتفاع بالقرآن والتلذذ به، قال الفضيل بن عياض: "يا بني لكل شيء ديباج، وديباج القراءة ترك الغيبة"[١].

ومن هذه الأمراض بل أخطرها، وهو سبب كل خطيئة: حب الدنيا والركون إليها والانشغال بزينتها، فالقلب الذي يركن إلى الدنيا ويشتغل بها، لا يُقبل على القرآن، ولا يفقه منه شيئًا ،فلا يتلذذ بتلاوة آياته، ولا ينكشف له شيء من معانيه وأسراره، روى الإمام الآجري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "لقد أتي علينا حينٌ وما نرى أن أحدًا يتعلم القرآن يريد به إلا الله ﷻ، فلما كان ها هنا خشيت أن رجالًا يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم، فأريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم"[٢]. قال الإمام الآجري : "قال محمد بن الحسين: فإذا كان عمر بن الخطاب ﷺ قد خاف على قوم قرأوا القرآن في ذلك الوقت بميلهم إلى الدنيا، فما ظنك بهم اليوم"[٣]، ويؤكد ذلك حجة الإسلام الغزالي، حيث يقول: "فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة، فليس من ذوي الألباب؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب"[٤].

وبالجملة فإن الذنوب والمعاصي سبب للغفلة عن الله ومانعة من فهم القرآن والتلذذ به ،فكان لزاما على المؤمن أن يقلع عن ذنوبه ومعاصيه، وإذا وقع فيها أن يتوب إلى الله منها توبة نصوحًا؛ كي ينعم بكل خير في الدنيا والآخرة، ومن أهمها الانتفاع بالقرآن

(١) التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي ص: ٢١٤.
(٢) أخلاق حملة القرآن وأهله، للآجري ص: ٣٣.
(٣) المصدر نفسه
(٤) إحياء علوم الدين١/٢٨٥.

والعمل به "فإذا حصل المؤثر؛ وهو القرآن، والمحل القابل؛ وهو القلب الحي، ووجد الشرط، وهو الإصغاء، وانتفى المانع؛ وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر؛ وهو الانتفاع والتذكر"[١].

ثانياً: الصورة الموروثة عن القرآن:

إن نظرة الكل –صغارًا كانوا أو كبارًا– للقرآن الكريم هي نظرة إعظام وإكبار وتقديس ،كتاب يوضع في الرفوف دون أن تتأثر به القلوب، كتاب تقبله شفاه الأصحاب دون أن يتذكر به أولوا الألباب، كتاب تقرأ ألفاظه ونحفظ حروفه، والذي يقرأه بعيد عنه في سلوكه ،"إن مشكلتنا أننا نشتغل حول القرآن وليس بالقرآن وفي القرآن"[٢]، يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن الصورة التي طبعت في أذهاننا في مراحل الطفولة للقرآن ،أنه لا يُستدعى للحضور إلا في حالات الاحتضار والنزع والوفاة، أو عند زيارة المقابر، أو نلجأ لقراءته عند أصحاب الأمراض المستعصية، وهي قراءات لا تتجاوز الشفاه"[٣].

فالمشكلة اليوم ليست في القرآن فهو شرف الأمة، قال تعالى: {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }{الأنبياء: ١٠}، قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: "فيه شرفكم"[٤]. فماذا فعلت الأمة بشرفها؟ "للأسف أضاعته وهجرته، وفي نفس الوقت تدعي أنها تهتم به اهتمامًا بالغًا، ولعل أصدق ما ينطبق على حالنا مع القرآن اليوم هو: أننا (اتخذناه مهجورًا)، فكلمة (اتخذ) توحي بالإيجابية، و(الهجر) كلمة توحي بالسلبية! لقد

(١) الفوائد، لابن القيم ص: ٣.
(٢) هذه رسالات القرآن، لفريد الأنصاري ص: ١٢.
(٣) كيف نتعامل مع القرآن، لمحمد الغزالي ص: ١٥..
(٤) الدر المنثور٥٦٣/٣.

اجتمع الضدان بالفعل مع القرآن: فمن الناحية الشكلية اهتم المسلمون بالقرآن اهتماما كبيرًا؛ فالإذاعات تبث آياته ليل نهار، والمصاحف في كل بيت، وآيات القرآن تزين الجدران.

أما من الناحية الموضوعية، فلقد هجر المسلمون القرآن هجرًا كاملًا.. هجرًا يشمل رسالته الهادية، ومعجزته التغييرية، وانصب اهتمامهم على شكله ولفظه فقط، والدليل على ذلك الهجر هو الواقع، فكما تذكرنا حجم التغيير الذي حدث للصحابة والذي ظهر في أعمالهم وآثارهم، ثم قارنا حالهم بحالنا، رأينا أن واقعنا وأعمالنا وما فيها من سلبيات كثيرة تكشف لنا أن القرآن لم يفعل معنا كما فعل معهم!"[١]. وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد الغزالي: "لابد من جعل القرآن يتخول في حياتنا إلى طاقة متحركة... أما أن يوضع في المتاحف أو المكاتب للبركة، أو أن تفتح المصحف وتقرأ آية أو آيات وينتهي الأمر، هذا لا يجوز"[٢].

إذًا يمكن أن نطلق على القرآن أنه (الكنز المهجور) أو (الحاضر الغائب)، أو (الموجود المفقود)، "فهو حاضر موجود بلفظه ومصاحفه وقرَّائه وحفَّاظه، غائب ومفقود بروحه ومعجزته وقيادته للحياة، فلا هو حاضر معنا حضورًا حقيقيًا، ولا هو غائب عنا غيابًا تامًا ،وهذه أهم عقبة تواجه الأمة وتمنعها من الانتفاع به انتفاعًا حقيقيًا؛ لأن الكثيرين لا يرون أن هناك مشكلة مع القرآن وذلك بسبب حضوره بيننا"[٣].

(١) إنه القرآن سر نهضتنا، لمجدي الهلالي ص: ٥٧ – ٥٨.
(٢) كيف نتعامل مع القرآن ص: ٥٩.
(٣) إنه القرآن سر نهضتنا ص: ٥٩.

فحري بنا إذًا أن نغير نظرتنا لهذا الكتاب وأنه مصدر كل خير وسعادة، وهو منهج حياة ،وهو دستور الأمة، وهو كل شيء، حينها نحلق في السماء ونكون في القمة كما بلغ ذلك قبلنا أصحاب رسول الله ﷺ.

ثالثًا: الإعراض عن تلاوة القرآن:

إن التلاوة هي مفتاح التلذذ والانتفاع بالقرآن، فإذا أعرض الإنسان عنها، لم يعرف قيمة هذا الكتاب، ولو انشغل عنها بشيء من أمور الخير؛ لذلك نهى المصطفى ﷺ صحابته الكرام أن يكتبوا عنه شيئًا غير القرآن، فقال: (لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه)[1]، والغرض من هذا النهي ليس لأجل عدم اختلاط السنة بالقرآن، كما ذكره البعض[2]، بل لأمر آخر أهم وأعظم، وهو: التركيز على القرآن أولًا والعناية به وزرعه في قلوب الصحابة، يقول الدكتور مصطفى السباعي: "ومهما يكن من إكثار بعض الصحابة التحديث عن رسول الله ﷺ، فقد كان ذلك قليلًا في عصري الشيخين أبي بكر وعمر، إذ كانت خطتهما حمل المسلمين على التثبت من الحديث من جهة، وحمل المسلمين على العناية بالقرآن أولا"[3].

فالانشغال بغير القرآن يؤثر على مقدار الانتفاع والجدوى من القرآن، وليس المقصد من ذلك الدعوة إلى ترك العلوم الأخرى من حديث وفقه ونحو وبلاغة، بل المقصد "ألا يكون هذا العمل على حساب القرآن، بمعنى أن يسير الاهتمام بالحديث وتدوينه جنبًا إلى جنب

(1) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم٤/٢٢٩٨، حديث رقم(٣٠٠٤).
(2) شرح النووي على مسلم١٨/١٢٩، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني١/١٨٩.
(3) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي ص: ٦٤.

،مع الاهتمام بالقرآن كمصدر متفرد للهداية والتغيير، ولكن لم يحدث هذا على الوجه المطلوب، وبدأ دور القرآن يتراجع قليلًا في النفوس، ولقد تعالت صيحات من بينهم تنبهك لضرورة التوازن، حتى لا يكون الاهتمام بالحديث على حساب القرآن، ومن ذلك ما قاله الإمام الشعبي لأصحاب الحديث: **(يا قوم! إنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخرتم في القرآن)**[١]"[٢]. فإذا كان هذا مع السنة والتي هي صنو القرآن والمبيِّنة لما أجمل فيه، بل إن المهتم بها يجدها تدعوه دومًا إلى الانتفاع الحقيقي بالقرآن، فكيف ببقية العلوم؟!

رابعًا: مفاهيم وممارسات خاطئة تجاه التعامل مع القرآن الكريم:

نتيجة للأسباب السابقة وعدم معرفة قيمة القرآن الحقيقية والانتفاع به، بحيث أصبح القرآن كتابًا مقدس شكليًا فقط دون الاهتمام بروحه ومعناه، ظهرت بعض المفاهيم والممارسات الخاطئة في التعامل مع القرآن من أهمها ما يأتي:

١. الخوف من تدبر القرآن:

نرى بعض الناس لا يحاول تدبر القرآن وفهم معانيه وإدراك لذته بحجة واهية مفادها: إذا أردت أن فهم القرآن فلا بد لي من كتاب تفسير لتوضيح معنى كل كلمة أقرأها، وكل آية أتلوها، فيكون هذا السبب هو الحائل بينه وبين فهم القرآن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا التخوُّف من أهم الأسباب التي حالت بين الناس وبين فهم القرآن"[٣].

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي١٩٦/١.
(٢) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، لمجدي الهلالي ص: ١٢٧:
(٣) قاعدة في فضائل القرآن، لابن تيمية ص: ٢٠٦.

وعندما عدد حجة الإسلام الغزالي موانع فهم القرآن ذكر منها: "أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما"[١]. ويصحح الإمام محمد عبده هذا المفهوم، فيقول: "خاطب الله بالقرآن من كان في زمن التنزيل، ولم يوجه الخطاب إليهم لخصوصية في أشخاصهم، بل لأنهم من أفراد النوع الإنساني الذي أنزل القرآن لهدايته، يقول تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم) فهل يعقل أنه يرضى منا بأن لا نفهم قوله هذا، ونكتفي بالنظر في قول ناظر نظر فيه، لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعه لا جملة ولا تفصيلا؟ كلا إنه يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته لا فرق بين عالم وجاهل"[٢]. والمقصود من التدبر إدراك مجمل المعنى، " فليس المقصد من تدبر القرآن إظهار نوع الإعجاز البياني واللغوي، وإمتاع العقل بما فيه من أدب وتاريخ وقصص – وإن كان كل هذا من محتوياته – بل المقصد الأساسي هو المعنى الذي يخرج به قارئه مما يجعله في حالة من دوام التذكر، كما قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ } {ص: ٢٩}"[٣]

وهذا هو الأصل فالتدبر لكل أحد وليس خاصًا بالعلماء أو بطائفة دون أخرى وقد تقدم بيان ذلك.

٢. تحصيل الأجر والثواب فقط:

---

(١) إحياء علوم الدين١/٤٤١.
(٢) تفسير الفاتحة وجزء عم ص: ١١.
(٣) العودة إلى القرآن ص: ١٢٣.

من المفاهيم السائدة عندنا والتي ينبغي تصحيحها: قصر وظيفة القرآن على تحصيل الأجر والثواب والتبرك، "فالمفهوم السائد أنه إذا كان لكل حرف يقرؤه المرء من القرآن له به عشر حسنات فيقرأ إذًا أكبر قدر ممكن من الحروف ليزداد رصيده من الحسنات، وفي الوقت نفسه فإن تدبر القرآن والوقوف عند معانيه سيعطل مسيرته عن قراءة أكبر قدر ممكن من الآيات ،ومن ثم يفوته الكثير من الحسنات، إذًا فلنترك التدبر جانبًا لتحقيق هدف الثواب والأجر"[1].

ولتصحيح هذا المفهوم نجيب أولًا عن هذين السؤالين:

الأول: أي القراءتين أفضل: قراءة السرعة مع الإنجاز أم قراءة التدبر مع الفهم؟

يجيب ابن القيم عن هذا التساؤل، فيقول:

"وقد اختلف الناس في الأفضل من الترتيل وقلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة: أيهما أفضل؟ على قولين.

فذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها.

واحتج أرباب هذا القول بأن المقصود من القراءة فهمه وتدبره، والفقه فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه، كما قال بعض السلف: (نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملًا)[2] ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام

(1) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن ص: ١٤٤.
(2) إحياء علوم الدين١/٢٧٥.

حروفه إقامة السهم... وقال أصحاب الشافعي رحمه الله: كثرة القراءة أفضل، واحتجوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة ،والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)[1]. قالوا: ولأن عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعة[2]، وذكروا آثارًا عن كثير من السلف في كثرة القراءة.

والصواب في المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا، فالأول: كمن تصدق بجوهرة عظيمة، أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا ،والثاني: كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة.

وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ، فقال: (كان يمد مدًّا)[3]. وقال شعبة: حدثنا أبو جمرة، قال: قلت لابن عباس: إني رجل سريع القراءة، وربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين، فقال ابن عباس: (لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إلي من أن أفعل ذلك الذي تفعل، فإن كنت فاعلًا ولا بد، فاقرأ قراءة تسمع أذنيك، ويعيها قلبك)[4]. وقال ابن مسعود: (لا تهذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)[5]. وقال عبد الله أيضًا: (إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين ءامنوا) {البقرة: ١٠٤} فأصغ لها سمعك، فإنه خير

(1) أخرجه الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر٥/١٧٥، حديث رقم(٢٩١٠).
(2) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب: الحيض، باب: الوتر بركعة واحدة ومن أجاز أن يصلي ركعة واحدة تطوعا٣/٣٥، حديث رقم(٤٥٦١).
(3) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة١/٢٦١٤، حديث رقم(٥٠٤٥).
(4) السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب: الحيض، باب: مقدار ما يستحب له أن يختم فيه القرآن من الأيام٣/٢٩٦، حديث رقم(٣٨٦٧).
(5) شعب الإيمان، للبيهقي، باب: تعظيم القرآن، فصل: في إحضار القارئ قلبه ما يقرأه والتفكر فيه٢/٣٦، حديث رقم(٢٠٤١).

تؤمر به، أو شر تصرف عنه)[1]. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: دخلت علي امرأة وأنا أقرأ (سورة هود) فقالت: يا عبد الرحمن: هكذا تقرأ سورة هود؟! والله إني فيها منذ ستة أشهر وما فرغت من قراءتها[2]"[3].

ومن خلال كلام ابن القيم يتبين لنا الفرق واضحًا وأن قراءة الترتيل والتدبر أفضل.

والسؤال الثاني: ما الغرض من إنزال القرآن الكريم؟ هل للقراءة فقط أم للتدبر والفهم والعمل بما فيه؟ وأي القراءتين تحقق هذا العرض؟

وقد أجاب الله تعالى بنفسه عن هذا السؤال بقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }{ص: ٢٩}، فالغرض من إنزال القرآن جليٌّ وواضح وهو التدبر؛ لأن اللام في قوله: چ ج چ للتعليل.

وللأسف واقعنا اليوم عكس ذلك، فقد جعل معظم الناس عملهم مع القرآن هو مجرد القراءة فقط، ولم يجعلوا القراءة وسيلة لفهم المراد من الآيات والعمل بها والتلذذ بها، وفي هذا المعنى يقول الفضيل بن عياض: "إنما نزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملا"[4]. ولهذا التصرف تجاه القرآن نتيجة وخيمة "فقد أدى انشغال المسلمين بألفاظ القرآن عن معانيه إلى حرمان الأمة من مصدر عزها ومجدها، وكيف لا وهم قد أطفأوا بهذا الفعل مصباحهم الذي ينير لهم الطريق، فتخبطوا في الظلمات وسقطوا في الهاوية ،وأصبحوا في ذيل الأمم، لا قيمة لهم ولا اعتبار لوجودهم.

---

(1) تقدم تخريجه ص:٤٧.
(2) شعب الإيمان، للبيهقي، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في إحضار القارئ قلبه ما يقرأه والتفكر فيه٣١٢/٢، حديث رقم(٢٠٤٦).
(3) زاد المعاد لابن القيم٢٢٧/١ – ٢٣٠.
(4) أخلاق القرآن ص:١٠٣.

أمة صارت في المؤخرة بينما لديها ما يعيدها إلى الصدارة والرفعة، بين يديها مفتاح سعادتها ،إلا أنها تعرض عنه، وتتعامل معه تعاملًا شاذًا لم يحدث مع أي كتاب من صنع البشر، لم يحدث مع أي صحيفة من الصحف، أو حتى مع قصاصة ورقية شاذة"[1].

٣. التسابق على حفظ القرآن دون فهمه:

وهذا من المفاهيم التي كان لها دور كبير في إبعاد الكثير عن الانتفاع بالقرآن والتلذذ به ،وهو "قناعتهم بأن أهل القرآن هم حفاظ حروفه بغض النظر عن ربط ذلك بالعمل بما فيه والتحقق بأخلاقه، لينكب كل من يحب القرآن ويطمع في الدخول في زمرة أهله على حفظ ألفاظه في أسرع وقت ممكن، فإذا ما تم له ذلك تمكنت من عقله ومشاعره عقيدة بأنه قد أصبح من أهل القرآن، فينتج عن ذلك شعوره بالاكتفاء تجاهه، وتخبو داخله أي رغبة أو شعور بالاحتياج إلى الجوانب الأخرى النافعة في القرآن، فيكفيه ما فعله والجهد الذي بذله"[2]. وهذا المفهوم منتشر بين أكثر الناس وبالذات–من هم أقرب للقرآن ومعه–حلقات تلاوة القرآن وتحفيظه، يقول الدكتور ناصر العمر: "وهو الأمر الملاحظ في جل حلقات التلاوة وتحفيظ القرآن المباركة، فالإقبال الكبير على التلاوة والحفظ لا يُقابله ذلك الاهتمام بالتدبر أو معرفة التفسير، حتى إننا نجد من الطلاب من يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ،لكنه لا يعرف معنى كلمات في قصار السور، التي يبدأ عادة في

(1) إنه القرآن سر نهضتنا، لمجدي الهلالي ص:٥٧.
(2) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن ص: ١٤٥.

تجفيظها للأطفال"[١]. وهذه من بدع القراء، يقول الإمام أبوبكر الطرطوشي: "ومما ابتدعه الناس في القرآن: الاقتصار على حفظ حروفه دون التفقه فيه. وروى الإمام مالك في الموطأ: أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمان سنوات يتعلمها[٢]"[٣].

ومن هنا فقد بعد كثير من حفاظ القرآن عن تدبره والانتفاع الحقيقي به، ومن ثَّم التلذذ بتلاوته؛ لأن غرض الحافظ من قراءة القرآن ومراجعته مجرد تثبيت الحفظ وعدم النسيان، دون التركيز على الفهم، يقول الشيخ محمد الغزالي –معلقا على هذا الموضوع من خلال تجربة شخصية مر بها–: "حفظت القرآن وعمري عشر سنين، وبداهة ما كنت أعي منه شيئا... والغريب أن هذه الطريقة في الحفظ لألفاظ القرآن صرفتني عن معان كثيرة كنت أمر بها ولا أعرفها، وأنا كبير أقرأ ولكن لأني حفظت الكلام دون فهم للمعنى أجد نفسي– في كثير من الأحيان– أمضي دون فهم للمعنى؛ لأن الحفظ كان يغلب على التدبر أو إحسان الوعي ،وما بدأت أفكر حتى أكرهت نفسي على أن أعود فأدقق النظر في كل ما أقرأ، وأحمل نفسي على ترك هذه العادة التي ورثناها مع الحفظ"[٤].

ولكي نتجاوز هذه العقبة علينا الرجوع إلى منهج الصحابة في التعامل مع القرآن الكريم ،حيث أن همهم الأول هو: فهم القرآن والعمل بما فيه، بل كانوا يقدمونه على الإكثار من حفظه وتلاوته، يحكي حالهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كان الفضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها،

(١) أفلا يتدبرون القرآن، د. ناصر العمر ص: ١٧٤.
(٢) موطأ مالك، باب: ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم(٢٣٨).
(٣) الحوادث والبدع، للطرطوشي ص: ٢٠٦.
(٤) كيف نتعامل مع القرآن ص: ٣٢.

ورزقوا العمل بالقران، وان أخر هذه الامة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به"[1].

وهذا ملحظ مهم جدًا، وللأسف هذا الذي عليه المعول اليوم في بلادنا التي تعج وتثج بمراكز تحفيظ القرآن الكريم– وهذا شيء حسن– "إلا أن المؤسف أن هذا الإقبال على التلاوة والحفظ لا يصحبه إقبال يماثله أو يقرب منه في باب التدبر والفهم والعمل، حتى صرنا نرى من يتم حفظ كتاب الله ﷻ، ولا يعرف معنى كلمات من أوائل السور التي يحفظها صغار الطلاب... حقًا هنالك آلاف المدارس المختصة بتحفيظ القرآن الكريم، فهل توجد مدرسة واحدة مختصة بتدبر القرآن وتعليمه؟! إنه حقًا أمر ملفت للنظر"[2].

وموانع لذة القرآن كثيرة وصعب إحصاؤها، ولكن نكتفي بهذا القدر، فما لا يدرك جميعه ،لا ينبغي ترك التنبيه على بعض ما يستدل به على ذلك.

فنسأل الله ذو الجلال والإكرام أن يجعل تعلمنا للقرآن المجيد وحفظه خالصًا لوجهه الكريم ،وأن يرزقنا فهمه وتدبره ولذته، وأن يكون القرآن العظيم حجة لنا لا علينا برحمتك يا أرحم الراحمين.

الخاتمة:

وفي نهاية هذه الرحلة الماتعة بين أحضان الكتاب الأمتع، أشير إلى بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع، وذلك على النحو الآتي:

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي١/٤٠.

(2) أفلا يتدبرون القرآن، أ.د ناصر بن سليمان العمر ص: ١١١- ١١٢.

١. أن القرآن الكريم كتاب متميز، يكفي في وصفه أن نقول: (كلام الله)، وكلام الإله إله الكلام.

٢–للقرآن الكريم أوصاف كثيرة تميَّز بها عن غيره، من أهمها: سطوته، وأنه أقوى سلاح للتغيير، وتيسير فهمه لكل أحد، وهو كتاب مبارك مصدر لكل خير ونعمة، ومنبع للعلوم كلها، وهو كتاب معجز وخالد، وهو أعظم كنوز الدنيا.

٣ـ لذة القرآن هي شعور داخلي يبعث على الراحة والطمأنينة فيشعر صاحبها بمنتهى الفرح وقمة السعادة، فيشتغل بالقرآن ولا يمل منه، فلا ينشغل عنه بغيره.

٤. لذة القرآن هي أمتع لذائذ الدنيا، وكل لذات الدنيا أمام لذة القرآن لا شيء، ومن جرَّب ذلك عرف قيمة هذا الكتاب العظيم، فعكف عليه ولم يلتفت لغيره.

٥ـ للوصول إلى لذة القرآن أسباب: الإخلاص، وحب القرآن، وحسن استماعه، ومراعاة خطابات القرآن، وفهم رسائلها، وقراءة الليل، وفهم المعنى .

٦ـ هناك موانع للذة القرآن حري بالمسلم أن يبتعد عنها: المعاصي والذنوب، ولا سيما أمراض القلوب، والاهتمام بشكل القرآن وإهمال مضمونه، والإعراض عن تلاوته، وعدم تدبره وفهم معانيه.

٧. ثمة ممارسات خاطئة تجاه التعامل مع القرآن: الخوف من تدبر القرآن، والحرص على تحصيل الأجر والثواب فقط، والتنافس في عدد الختمات، والتسابق على حفظ القرآن دون فهمه، وهذه الأمور عقبة في عدم الوصول للذة القرآن.

التوصيات:

يوصي الباحث طلبة العلم وطلاب الدراسات العليا بتكثيف الجهود في دراسة مثل هذه المواضيع والتعمق فيها ونشرها بين أوساط الناس وتثقيفهم، والاهتمام بالقرآن الكريم دراسة وتأملًا وفهمًا، واستنباط الفوائد منه والدلالات والعبر، فهو خير كتاب وخير الزاد.

وبهذا آتي إلى نهاية البحث، فما كان صوابًا فمن الله ﷻ، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، ومن وجد خطأً فليصلحه وجزاه الله خير الجزاء.

كتبتُ وقد أَيقنتُ يومَ كتابتي بأنَّ يدي تفْنَى ويبقى كتابُها
فإن عملت خَيرًا تُجازَى بمثلِه وإن عملت شرًا عليها حسابُها[1]

فأسأل الله ﷻ أن يرزقنا فهم القرآن وتدبره والتلذذ بتلاوته وذوق حلاوته، وأن يجعل القرآن الكريم حجة لنا لا علينا، وأن يكون شفيعًا لنا يوم القيامة.

اللهم أكرمني بأعظم لذة في الدنيا لذة تلاوة كتابك، وأعظم لذة في الآخرة لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد الصادق الأمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع:

١. إتقان البرهان في علوم القرآن: أ.د فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن . عمان، الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ . ٢٠١٠م.

(١) شرح سنن أبي داود ٢/١.

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، عام النشر: ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م.

٣- أحكام القرآن: علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بـ(الكيا الهراسي)، تحقيق: موسى محمد وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.

٤- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية . جدة، الطبعة الثانية: ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م.

٥- أخلاق حملة القرآن: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، دار الصفا والمروة . الإسكندرية، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ.

٦- إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد: محمد بن إسماعيل الصنعاني، الدار السلفية . الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ.

٧- أفلا يتدبرون القرآن: أ. د ناصر سليمان العمر، دار الحضارة للنشر والتوزيع . الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م.

٨- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة السابعة: ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م.

٩– إنه القرآن سر نهضتنا: مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع . القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ . ٢٠٠٦م،

١٠– البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ . ١٩٥٧م.

١١– تاريخ آداب العرب: محمد صادق الرافعي، دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة السادسة: ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.

١٢– التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، عام النشر:١٩٨٤.

١٣– تحقيق الوصال بين القلب والقرآن: مجدي الهلالي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع . القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

١٤– تدبر القرآن الكريم: عبد اللطيف بن عبد الله التويجري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية . الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ.

١٥– التذكار في أفضل الأذكار: محمد بن أبي بكر القرطبي، مكتبة دار البيان . دمشق، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ.

١٦– تفسير ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.

١٧– جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.

١٨-الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفش، دار الكتب المصرية . القاهرة، الطبعة الثانية:١٤٨٣هـ . ١٩٦٤م.

١٩-الحوادث والبدع: أبو بكر الطرطوشي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.

٢٠-الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم: عبد الله بن علوي الحداد، الطبعة الثانية.

٢١-دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني . جدة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.

٢٢-ديوان امرئ القيس: امرئ القيس بن حجر الكندي، دار المعرفة . بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

٢٣-ذيل طبقات الحنابلة: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة العبيكان . الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٥م.

٢٤-روائع إقبال: أبو الحسن الندوي، دار القلم . دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

٢٥-الزهد: عبد الله بن المبارك، تحقيق: أحمد فريد، دار العقيدة . الاسكندرية، الطبعة الرابعة عشر: ١٤٢٥هـ.

٢٦-السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي . بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ.

٢٧-سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م.

٢٨-سنن أبي داوود: سليمان بن أشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت.

٢٩-سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: محمد أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م.

٣٠-سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع . المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.

٣١-السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.

٣٢-سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ،مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.

٣٣-سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.

٣٤-شرح النووي على مسلم: يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م.

٣٥-صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر ،دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٣٦-صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

٣٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام . الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٣٨-فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت ،الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.

٣٩-فضائل القرآن: أبوبكر جعفر بن محمد الفريابي، مكتبة الرشد . الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ.

٤٠-فضائل القرآن: إسماعيل بن عمر بن كثير، دار المعرفة . بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ.

٤١-فضائل القرآن: جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري، تحقيق: أحمد سلوم، دار ابن حزم . بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م.

٤٢-فن التدبر في القرآن الكريم: عصام صالح العويد، المملكة العربية السعودية . الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

٤٣-قاعدة في فضائل القرآن: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، مكتبة الظلال، المملكة العربية السعودية . الإحساء.

٤٤-لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور، دار صادر . بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.

٤٥-لطائف المعارف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار ابن حزم، عام النشر: ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م.

٤٦-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.

٤٧-مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الوفاء، الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

٤٨-مختصر قيام الليل: محمد بن نصر المروزي، مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ.

٤٩-المدخل إلى الدراسات القرآنية: أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م.

٥٠-المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ . ١٩٩٠م.

٥١-مسند أحمد: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية:١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.

٥٢-المشوق إلى القرآن: عمرو الشرقاوي، مركز تفكر للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى: ١٤٣٦ . ٢٠١٥م.

٥٣-معالم في الطريق: سيد قطب، دار الشروق . القاهرة، الطبعة العاشرة: ١٤٠٣هـ.

٥٤-المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة.

٥٥-مفاتيح الغيب: محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية . بيروت ،الطبعة الأولى١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٥٦-مفتاح دار السعادة: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، عام النشر: ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.

٥٧-مناقب الشافعي: أبو بكر البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى: ١٣٩١هـ . ١٩٧١م.

٥٨-منجد المقرئين ومرشد الطالبين: محمد بن محمد ابن الجزري، تحقيق علي العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ.

٥٩-هذه رسالات القرآن: فريد الأنصاري، دار السلام، جمهورية مصر العربية . القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٣٤هـ . ٢٠١٤م.

٦٠-الوسيط في تفسير القرآن المجيد: علي بن أحمد بن محمد الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ . ١٩٩٤م.